على هامش محاكمة العصر

ما قبل المقابر الجماعيـــة وما بعـــدها

بغداد / صافي الياسري

* ما هي ادوار ناظم كزار وسالم الشكرة وحسن المطيري؟

* ما هي مهام مكتب العلاقات برئاسة سعدون شاكر وحامد الهيتي؟

يقال ان عبد الكريم قاسم هو الذي سمى قصر الرحاب قصر النهاية مشيرا الى نهاية العهد الملكي ولم تكتسب هذه التسمية شهرتها سيئة الصيت الاعلى بيد البعثيين عام ١٩٦٣ الذي تمت على ايديهم تصفية حكومة ونظام عبد الكريم قاسم.

كان قصر الرحاب (النهاية) في العهد البعثي الاسود يضم قصرين الاول هو مقر ملك العراق المسمى بالرحاب ومدلوله واضح في الترحاب بالداخل وسعة المكان والنفس، اما الثاني فقد كان مقر الهيئة التحقيقية الاولى التي كانت في بداية الانقلاب الثاني للبعث بعد عام ٦٨ تسمى مكتب العلاقات برئاسة سعدون شاكر وحامد الورد وآخرين، وكانت مهمتها حماية الامن الخارجي ومعاقبة المتآمرين، وكانت هناك ايضا هيئة التحقيق الثانية التي سميت فيما بعد سرية حماية العاصمة التي ادارها ناظم كزار وسالم الشكرة وحسن المطيري وكانت مهمتها حماية الامن الداخلي على طريقة صدام التصفوية عبر التعذيب بانواعه والقتل والاغتيال الذي ليس له حدود من قانون او عرف او اخلاق.

فما الذي كان يحدث هناك؟

الاعتقالات الجماعية وتنفيذ عمليات الاعدام الفورية او بعد محاكمات صورية سرية لا تتوفر فيها ادنى الضمانات الانسانية بما فيها حق الدفاع ذلك ما جرى على يد هاتين الهيئتين.

الدستور المؤقت لعام ١٩٧٠ اقر المادة ١٤ من الميثاق العالمي لحقوق الانسان المدنية والسياسية التي ضمنت لكل شخص الحق في ان تنظر قضيته بصورة عادلة امام محكمة مستقلة ومنصفة وقد تم تجاهل هذه المادة وعدم النظر اليها، فالمحاكمات الصورية كانت تجري امام هيئات غير قضائية وعلى شكل محاكم خاصة واستثنائية تضم ممثلين حكوميين وتصدر احكاما قرقوشية بالاعدام يتم تنفيذها فورا ودون استئناف بعد اجراء تحقيق داعر وصوري مع المعتقلين السياسيين في اقبية وزنازين وظروف غير انسانية وقاسية جدا ويمارس معهم ابشع انواع التعذيب الجسدي والنفسي وبوسائل غاية في القسوة والوحشية وتنافي كل الاعراف والمواثيق والقوانين التي تعارفت على احترام حدها الادنى دول العالم لانتزاع اعترافات غير حقيقية جرمية واعتمادها كادلة ضدهم، كما مارست الهيئات الصدامية واجهزة البعث عمليات القتل دون محاكمات ناهيك عن العمليات المنظمة في الاغتيالات وملاحقة المواطنين في الداخل والمقيمين في الخارج.

القاضي طه ياسين رمضان

من منا لا يتذكر محكمة طه ياسين رمضان الخاصة او طه الجزاوي او الجزار كما كان يسميه العراقيون لمحاكمة (المتآمرين) على الحزب والثورة او ما سماها البعثيون بمؤامرة كانون الثاني عام ١٩٧٠ أي بعد مرور عامين على (الانقلاب الابيض) كما يسمونه عام ٦٨ وكان الجزار ناظم عضوا في هذه المحكمة والعضو الثاني هو علي رضا مدير مكتب العلاقات العامة في ما يسمى مجلس قيادة الثورة ومن مآثر هذه المحكمة انها قضت خلال ٤٨ ساعة باعدام ٥٦ مواطنا عراقيا ومصادرة اموالهم المنقولة وغير المنقولة بتهمة التآمر على امن الدولة الداخلي لقلب النظام بالقوة وبالتنسيق مع جهة اجنبية ونفذت بحقهم تلك الاحكام وعلى شكل وجبات.

وفي مؤتمر صحفي يحتفظ بتسجيل له تحدث الجزاوي ردا على سؤال احد الصحفيين حول سرعة المحاكمة والتنفيذ فقال: انه ليس هناك داع لاطالة وقت المحكمة مقتنعة بتجريم هؤلاء، ترى هل سيقبل الجزاوي هذه المقولة وهم يحاكم اليوم امام قضاة انتدبهم الشعب لمحاكمته على جرائمه؟

وبالطريقة نفسها جرت محاكمة المتهمين باحداث حزيران ١٩٧٣ التي سميت بمؤامرة ناظم كزار مدير الامن العام انذاك الذي كان عضوا في محكمة الجزاوي.

ومحكمة ١٩٧٧

ولم يختلف الحال بالنسبة للمحكمة الخاصة التي تشكلت برئاسة عزة مصطفى وزير الصحة في حينها وعضوية كل من فليح حسن الجاسم وحسن علي العامري وزير التجارة لمحاكمة المحالين اليها ممن اتهموا بالاشتراك في حوادث النجف وكربلاء عام ١٩٧٧ الذين اعدموا دون محاكمات، مما دفع رئيس المحكمة عزة مصطفى في صحوة ضمير وعضوها فليح حسن الجاسم عدم التوقيع على قرارات الاعدام، مما سبب اقصاءهما من عضوية مجلس قيادة الثورة وفقدانهما منصبيهما الوزاريين وقد نفذت عمليات الاعدام بحق المتهمين بموافقة عضو واحد هو حسن العامري وقد اغتال البعثيون رفيقهم فليح حسن الجاسم واختار عزة مصطفى حياة العزلة بعد الضغط عليه من قبل اجهزة صدام.

وفي عام ١٩٧٩ تمت محاكمة عدد من كبار القادة والمسؤولين في الدولة والحزب بتهمة الخيانة والتآمر على السلطة وقضى صدام حسين الذي لم يطمئن الى حزبه باعدام ٢١ عضوا في حزب البعث بينهم مسؤوله الاول عبد الخالق السامرائي عضو القيادتين وغيره من اعضاء القيادة القطرية وملاكات الحزب وكان سبب الاعدام هو ما قيل عن اعتراضهم على اقصاء احمد حسن البكر رئيس الجمهورية وتنازله المريب لصدام حسين (عدا عبد الخالق السامرائي) الذي كان سجينا منذ مؤامرة ناظم كزار) لكن علي حسن المجيد اقترح اعدام عبد الخالق السامرائي قطعا للمؤامرات البعثية ضد صدام!

محكمة الثورة

استحدثت هذه المحكمة للنظر في الجرائم الخاصة بأمن الدولة الخارجي والداخلي والمحالة اليها من طرف ما يسمى بـ(دائرة السلامة الوطنية المرتبطة بديوان الرئاسة).

واحكام هذه المحكمة تصدر بصورة قطعية لا تقبل الطعن ولا الاستئناف ولا التمييز ويحرم المتهمون خلال الاعتقال والمحاكمة من حق الدفاع عن النفس او مناقشة الشهود ان وجدوا او توكيل محامين! اين رامزي كلارك والنعيمي من هذا؟ وكان ايقاع الاعدامات من خلال المحاكمات الصورية يبدو بطيئا وغير ملائم لصدام والبعثيين بما فيه الكفاية لذلك استغني عن معظم طاقمه القديم وقام بتصفية العديد منهم والبعض ابتعد عن هذا المسلك بتحايلات شتى وهكذا اسرع القائد الضرورة حسبما لقبه المنظر العبقري طارق عزيز الذي استخدمه صدام بالمعنى الدنيء للاستخدام لتغطية نقائصه وجرائمه مستفيدا من اتقانه اللغة الانكليزية ولياقته الانتهازية وقابليته على التنازل والتلون.

هكذا اتبع صدام ايقاعا اكثر سرعة لشعوره بالخطر من داخل حزبه حتى ومن الوضع العام الذي بات يتململ خاصة وان النظام لم يعد قادرا على تحمل السياسية الناشطة في البلد وخارجه لان مشروعه السياسي قائم على التصفيات الدموية التي تقود الى الانفراد بالسلطة واستخدامها على نحو مصلحي شخصي بالدرجة الاولى وعلى نحو شوفيني وعشائري وطائفي، لذلك لجأ الى اسلوب القتل العام والمقابر الجماعية وكان ذلك طريقة لتوريط البعثيين بدماء العراقيين حتى يقطع على الحزبين طريق التراجع ويدفعهم الى المزيد من الجرائم.

اول من اكتشف المقابر الجماعية

كانت شركة بولونية عملت في العراق منذ عام ١٩٧٩ متعاقدة مع الحكومة العراقية على بناء معامل الطابوق الجاهز على طريق بغداد - بعقوبة القديم وهناك شركة ثانية في حي النصر ولها فرع في كربلاء وفرع في البصرة والبولونيون هم من اوائل من اكتشف المقابر الجماعية، فقد اكتشف المهندس البولوني المشرف على بناء المعمل مقابل مستشفى الرشاد في بغداد حينما بدأ الحفر هناك جثثا لاطفال ونساء وبين ايديهم الكتب المقدسة، اراد المهندس تغيير الموقع ولكن المسؤولين رفضوا ذلك واصروا على بناء المعمل في الموقع نفسه وعلى بعد كيلومترين من البرج العالي الذي يشرف على موقع العمل كانت توجد بناية هي من السجون العائدة لناظم كزار ١٩٧٢، رئيس رابطة السجناء السياسيين العراقيين قال انه كان مديرا لشركة سومات البلغارية وهي شركة نقل عملت في بغداد واضاف: بعد ان علمت بأمر هذه القبور اخبرت المسؤولين بضرورة تغيير الموقع لكنهم اصروا على بنائه هناك ولهذا تم نقلي الى شركة بولونية وحين سافر مدير الشركة عقد مؤتمرا صحفيا وذكر اسمي كشاهد على المقبرة بعد ذلك بدأ النظام يلاحقني ما اضطرني الى ترك العراق عن طريق كردستان فالقي القبض علي وسجنت في ابو غريب عام ١٩٨٠ حتى عام ١٩٩٠.

حقيقة عفو ١٩٨٨

اصدر النظام المباد عام ١٩٨٨ عفوا عن الاكراد وعن المصريين المحكومين بتهم المتاجرة بالمخدرات وعاد قسم من المطلوبين المهاجرين الى ايران ويقول احد هؤلاء عبد المحسن كاظم علي: بعد سماعنا خبر العفو بعد توقف اطلاق النار في الحرب العراقية-الايرانية رجعنا الى البلد، وكنت ضمن مجموعة من العائدين، وكانت في انتظارنا اجهزة الامن والاستخبارات واقتادونا الى المعتقل رقم (١) على الحدود وبدأ التحقيق معنا الذي استمر ٩ أشهر دون زيارات او خدمات وضعونا في المعتقل الكونكريتي صيفا وشتاءا.

حسام رحيم يقول: لقد بعثوا لنا فخاخا مرعبة والظروف التي اعتقلنا فيها كانت سيئة الى ابعد الحدود وقد صادروا اموالنا المنقولة وغير المنقولة وحكموا علينا بالسجن لمدة ١٥ عاما دون مادة قانونية حقيقية.

ماذا يوجد خلف الباب الكونكريتي؟

يذكر بعض الناجين من معتقلات النظام الرهيبة انه ثمة باب كونكريتي يحجز معتقلا على طريق اور العسكري المرتبط بالسماوة، ومعسكر فيه براميل تضم جثثا لاطفال ونساء قد يشكلون رقما مرعبا ذكر بعضهم انه ١٩ الف كردي قيل انهم من اصول ايرانية كانوا موزعين قبل ذلك بين الطريق العسكري وسجن نقرة السلمان منذ عام ١٩٨٢ وقد نقلوهم على شكل مجاميع الى جهات مجهولة حتى بقي منهم ٤٠٠ شخص هم الان مجهولوا المصير ايضا.. فأين ذهبوا؟

اما الحديث عن المقابر الجماعية التي اكتشفت بعد سقوط نظام الجريمة فلها احاديث أخرى.

فـي صلب الموضوع

مجانين وعقلاء

كشفت احداث الاربعاء الاسود الماضية وما تلاها من زمن صعب، وجوها لم تستطع ان تتستر اكثر، فقد حانت اللحظة المناسبة كي تلعب هذه الوجوه ادوارها ضمن سيناريو معد مسبقا وبتنظيم دقيق.

تعد البعض من الفضائيات العراقية بعضاً من هذه الوجوه فقد تلقفت الاحداث الاخيرة كما لو كانت بانتظارها وفي اطيب الاحتمالات فان خطابها الاعلامي السياسي بدا مهيمنا للتعامل مع احداث من هذا الطراز لتصعيد حدة المواجهة باتجاه اجندة واضحة المعالم، فقد اسهم خطابها عن سابق عمد وتصميم في تجييش المشاعر والعواطف باتجاه الانزلاق نحو طريق الفتنة وروجت لصدام الخطابات الانفعالية غير الواعية وألبست الاحداث لبوسا طائفيا. ولكنها لخيبتها كانت تواصل تسويق خطابها المكشوف. هذا خلف شعار الوطن الواحد الموحد، وهو شعار طالما تلفع به الخطاب السياسي البراغماتي للسلطة الصدامية وعلى ايقاع شعارها هذا فتت ودمر الوطن.

عامر القيسي

الغريب في وجوه هذا الخطاب، انهم يتحدثون من خلال فضائيات اخرى عن الحيادية الاعلامية،

الغريب في وجوه هذا الخطاب، انهم يتحدثون من خلال فضائيات اخرى عن الحيادية الاعلامية، واحترام السلوك المهني الاعلامي، بل والحديث عن الاستعداد لفداء الوطن من اجل وحدته وديمقراطيته.

واذا اردنا ان لا نشكك في النيات ولا ننطلق من حكم مسبق بناء على معرفة دقيقة بمحتوى خطاب مثل هذه الفضائيات فانها عمليا قد انتجت من خطابها مفردات الخطاب الصدامي واعلنت عن نفسها في فضيحة اعلامية وسياسية عندما كانت تصب النار على الزيت دون رحمة والتم في مضائفها من لا ينام ليله الا على احلام حرائق العراق ولا يرف له جفن لمنظر الدم العراقي وهو يستباح في طول البلاد وعرضها.

خلف ستار سميك من الديمقراطية وحرية الكلمة.

ان واحدة من مصائب ديمقراطيتنا الجديدة هو الفهم الامي لها، بحيث ينطبق عليها قول الجواهري في ديوانه "مرحبا أيها الارق"

يا نديمي وشفني حزن ان تساوى القبيح والحسن

والغبي السفيه والفطن وطهور وجيفة عفن

وهذه الديمقراطية سادتي كالبندقية، فانظروا ماذا يفعل بها المجنون وماذا يفعل بها العاقل..

الكارثة في عراقنا ان المجانين والعقلاء كلهم يحملون هذه البندقية.

صحفي عراقي

ذاكرة إمرأة عراقية

تفتح صفحة (قضايا عراقية)، نافذة لذاكرة المرأة العراقية المناضلة كي تكتب تاريخ وقفتها المشهودة والنادرة في تاريخ النضال السياسي للشعب العراقي بكل تياراته السياسية والفكرية التي قارعت حكم الطاغية وقدمت المرأة العراقية على مذبح حريتها ثمناً باهظاً شهيدة وسجينة ومنفية، نساء من طراز خاص تحدين إرهاب الدولة وصرخن عالياً بـ(يعيش العراق) وهن متوجهات إلى ساحة الاعدام أو حبل المشنقة، وتحملن كل عسف وألم زنزانات النظام المقبور. امرأة عراقية أخفت زوجها وابنها واخاها وحبيبها بل جارها، عن أعين فئران الزيتوني البؤساء هذه المرأة مطلوب منها ان تكتب هذا التاريخ الحقيقي للمرأة العراقية لا تاريخ اتحاد النساء وحفلات نادي الصيد! (قضايا عراقية) تفتح هذه النافذة.

أعدموا كل أخوتها بسبب أسمائهم التي تُحيل الى أسماء أخرى

بغداد / شذى الشبيبي

تحت الخريطة المنهكة
وقفت اشجار الصفصاف
ظل احمر بكفن رأس التمساح
ينقش اسماء الابطال
حرفا حرفا فوق
ضلوع التاريخ

ارواح صعدت كالصلوات

السيدة (فريدة اسماعيل محمد) تروي ما حل بأسرتها في زمن كان الموت السري يوزع بالمجان على عوائل لم يكن ذنبها سوى انها انجبت ابطالا وتمسكت بشرف الاحرار.

حتى اصبحت تجارة الدم اكثر الصفقات ربحا وشيوعا للذين طاب لهم الغوص في المستنقعات وافترشوا الوحل والعفن.

كان للسيدة (فريدة) ثلاثة اخوة (سلام) و(صارم) و(حازم) مواليدهم على التوالي ١٩٦٠، ١٩٦١، ١٩٦٣ سلام طالب في معهد التكنولوجيا في كركوك وصارم كان في المعهد الفني الزراعي في (ابو غريب) وفي عام ١٩٨١ حيث كان موسم امتحانات نصف السنة والجو بارد جدا ولصعوبة تحرك الطلاب في تلك الفترة لانشغالهم بالدراسة ولان عاطفة الام تتصاعد في هذه الفترة بالذات على ابنائها، جهزت الوالدة بعض الاطعمة والاطباق البيتية مع مبلغ من المال وارسلته مع (حازم) ليذهب به الى اخيه (سلام) الطالب في كركوك. في اليوم نفسه جاءهم احد زملاء (صارم) حاملا كتبه واخبرهم بأن الجهات الامنية القت القبض عليه. كانت الصدمة مريعة فالامن يعني النهاية ويعني التعذيب والموت والبربرية بكل بشاعتها ومن ذا الذي يقف في وجه هؤلاء؟

بقي الابوان ينتظران عودة ابنهما (حازم) من كركوك لعله يعرف شيئا عن اخيه. كلنا نعرف ان التقصي عمن اعتقل كان من المحظور وقد يكون رد المسؤول اشد شراسة وسفالة.

مرت الايام ولم يعد حازم وزادت مخاوف العائلة وحساباتهم لغيابه حتى علموا بما حل به وبأخيه (سلام) اذ ان (الامن) اخذ الاثنين سوية لغاية في نفس الطغاة.. اكتملت النكبة على العائلة بغياب ثلاثة شبان في التوقيت نفسه. ويبدو ان الجلاوزة نظموا كل شيء بدقة كي يكون وقع الفاجعة اكثر ايلاما للأهل وأكثر لذة لشاربي الدماء.

كان والدهم قد حرص عل تربيتهم ودراستهم وتنشئتهم على حب الناس والوطن بعيدا عن اتجاهات البعث و (حنقبازيات) (الاتحاد الوطني).

كانت المداهمات مستمرة خاصة في ساعات الليل وتم استدعاء الوالد مرات عديدة لاستجوابه والتحقيق معه بشأن ابنائه وافكار العائلة المعارضة للنظام والاتجاه السياسي الذي سار عليه هو واولاده برغم تأكيده لهم بأنه لا ينتمي الى أي حزب معارض وانه مستقل وكذلك اولاده.

ولكن معظم الاسئلة والتحقيق كان يصب في طلب تفسير لاسماء الشباب الثلاثة. فاسم (سلام) يذكرهم بـ(سلام عادل) القائد الشيوعي الذي تمت تصفيته على يد (الحرس القومي) وبعد التعذيب الوحشي عام ١٩٦٣،

اما (حازم) و(صارم) فحدث ولا حرج. وهكذا فالاسماء الثلاثة منتفاة وتثير الرعب لديهم وتشعل الرؤوس المحشوة بالحقد والبلادة، لانها تعني الشجاعة والرجولة، بمعانيها والمبادئ النقية والتاريخ النضالي.. انها فعلا مفردات تجهلها البربرية التي لا تعترف بغير شريعة الغاب.. وهكذا عاشت العائلة الناضلة في جو الرعب والمداهمات طوال سنوات الحكم الجائر ومع ذلك كان الامل يعيش في احلام الوالدين وامنيات بسيطة كانت تداعب رأس (أم حازم) و(ابو صارم) لعل وعسى بلفته من العزيز الجليل يعود لهما من غابوا او قد ينفخ الرحمن برؤوس العتاة ويطلقوا سراح احدا منهم لا يهم ان كان (سلام، حازم، او صارم).

الحلم بينه وبين امهم فيفرح بهم ويزوجهم ووو.

كانت السيدة (فريدة) وهي تروي لي القهر والالم الذي تعرضت له اسرتها، عبثا تجهد نفسها كي توقف دموعها ومن الصعوبة كان عليّ فهمها، فالبكاء كان الصوت الوحيد المفهوم من كلماتها.. حتى اني قررت التراجع وترك الموضوع وشعرت بنفسي كمن يمسك مبضعا ليفتح جرحا ما زال يؤلم صاحبه وكأن محدثتي الفاضلة شعرت بما يدور بخاطري فاقترحت ان تفرغ ذاكرتها على الورق بينها وبين نفسها لان ذلك خيرا لصحتها.

كانت مصيبة (آل اسماعيل محمد) اكبر مما يحتويها الامل قد تدهورت صحة الوالد والوالدة وعششت فيهم اوجاع القلب والروح ومات الاثنان احدهما تلو الاخر ولم تنج (فريدة) من مرض الضغط وداء الشقيقة وبعد سقوط النظام علموا من منظمة (السجناء الاحرار) باعدام اخوتها الثلاثة (سلام) عام ١٩٨٢ و(حازم وصارم) عام ١٩٨٤ لا رفاة لهم ولا اثر في المقابر الجماعية.

تقول (فريدة): اذ لم نجد اثرا لاخوتي في المقابر الجماعية فذلك ليس عجيبا او غريبا على الطغاة وهذا ديدنهم على مر التاريخ، فقد كان فرعون العصر ينتشي بدماء العلماء والمبدعين والمخلصين لتربة هذا الوطن فاحواض التيزاب ومكائن الفرم وقطع الايدي والرؤوس وغيرها من اساليب الابداع في القتل طوال اكثر من ثلاثة عقود كانت سياسة هذا (اللانظام) الذي لم يدع بيتا الا وابتلاه بمصيبة.